

درر الحكم شرح مجلة الأحكام

@ 71 @ وَقَدْ أُخْذَتْ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ مِنْ (بَابِ الرُّجُوعِ عَنِ الشَّهَادَةِ) الْوَارِدِ فِي الْكُتُبِ الْفِقْهِيَّةِ وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي الْهُدَى إِذَا رَجَعَ اللَّهُمَّ عَنْ شَهَادَتِهِمْ وَبَلِ الْحُكْمُ بِهَا سَقَطَتْ ; لَأَنَّ الْحَقَّ إِزْمَانٌ يَثْبُتُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَاضِي لَا يَقْضِي بِكَلَامِ مُتَنَازِعِهِ وَلَا صَمَانَ عَلَيْهِمَا ; لَأَنَّهُمَا مَا أَتَلَفَّا شَيْئًا لَا عَلَى الْمُمْدُعِي وَلَا عَلَى الْمُمْدُعَى عَلَيْهِ فَإِنْ حُكِمَ بِشَهَادَتِهِمْ ثُمُّ رَجَعُوا لَمْ يُفْسَخْ الْحُكْمُ ; لَأَنَّ آخِرَ كَلَامِهِمْ يُنَزَّعُ أَوْ لَهُ فَلَا يُنْقَصُ الْحُكْمُ بِالْمُتَنَازِعِ) . لَقَدْ عُرِّفَتْ الْحُجَّةُ فِي الْأَشْبَاهِ بِأَزْهَارَةِ بَيْنَهَا ، بَيْنَهَا عَادَلَةُ ، أَوْ إِقْرَارُ ، أَوْ نُكُولُ عَنِ الْبَيْمَينِ . وَجَاءَ عَنْهَا فِي الْمَادَةِ (78) بِأَزْهَارَةِ تَشْمَلُ الشَّهَادَةِ وَالْإِقْرَارِ وَلَكِنْ بِمَا أَنَّ الْحُجَّةَ الْمَقْصُودَةَ هُنَّا لَيْسَتْ سَوَى الْبَيْنَةِ وَالشَّهَادَةِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي شَرْحِ الْمَجَامِعِ عَنْهُ تَعْلِيقُ الشَّارِحِ عَلَى قَوْلِ الْمَاتِنِ (الْمُتَنَازِعُ لَا يَمْنَعُ صَحَّةَ إِلَاقِرَارِ) مَثَلًا لَوْ أَزْكَرَ شَخْصٌ شَيْئًا ثُمُّ بَعْدَ ذَلِكَ أَقْرَرَ بِهِ فَيُعْتَبَرُ إِلَاقِرَارُ رَغْمًا مِمَّا حَدَثَ مِنْ الْمُتَنَازِعِ ; لَأَنَّ الْمُؤْرِرَ لَا يَكُونُ مُتَشَهِّدًا بِإِقْرَارِهِ مَهْدِيَ هَذَا - فَلَيْسَ مِنْ مَا أُخْذَ فِي ذَلِكَ أَوْ خَطَأً . الرُّجُوعُ تَعْرِيفُهُ : الرُّجُوعُ لِغَةً نَقْبِضُ الذَّهَابَ وَاصْطَلَاحًا زَفْفِيُّ الشَّاهِدِ أَخْبِرَ مَا أَثْبَتَهُ أَوْ لَا هَذَا وَقَدْ مَرَّ مَعْنَاهُ أَنَّ الْحُكْمَ لَا يُخْتَلُ ; لَأَزْهَارَةِ كَانَ الْحُكْمُ بِالْكَلَامِ الْمُتَنَازِعِ غَيْرُ جَائِزٍ فَلَا يَجُوزُ أَيْضًا نَقْبِضُ الْحُكْمَ بِهِ . وَبِمَا أَنَّ الْكَلَامَ بِنَ الْمُتَنَازِعِينَ مُتَسَاوِيَانِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَقَدْ رَجَحَ أَلَّا وَلِمُ عَلَى الثَّانِي بِسَالِهِ بِالْقَضَاءِ ، وَالْمَرْجُوحُ لَا يُعَارِضُ الرَّاجِحَ فَلَمْ يُخْتَلَ الْحُكْمُ وَلَمْ يُنْقَصُ . وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ اللَّهُمَّ هُوَ مُتَسَابِبُينَ فِي الْحُكْمِ فَقَطْ وَالْحَاكِمُ هُوَ الْمُبَاشِرُ بِهِ فَمِنْ الْوَاجِبِ بِمُقْتَضَى الْمَادَةِ (190) لَا يَتَرَتَّبُ الصَّمَانُ إِلَّا عَلَى الْحَاكِمِ . وَلَكِنْ بِمَا أَنَّ الْقَاضِي بَعْدَ أَنْ يُؤَدِّيَ اللَّهُمَّ هُوَ الشَّهَادَةُ وَبَعْدَ

الـَّذِي بـِرَبِّـيـتـ مـِنـ عـَدـَـالـاتـهـمـ مـُجـبـرـ عـَلـىـ الـْحـُكـمـ فـَوـرـاـ فـَلـاوـ تـَأـخـرـ
وـلـامـ يـَحـكـمـ بـَكـونـ مـَسـئـوـلاـ شـَرـعـاـ وـمـُسـتـحـقـاـ لـِلـتـعـزـيرـ وـالـعـزـلـ
. وـبـِـمـاـ أـنـ زـَصـمـيـنـ الـْحـُكـمـاـ يـَسـتـلـزـمـ اـمـتـنـاعـ النـَّاسـ مـِنـ قـَبـولـ
مـَذـصـبـ الـْقـصـاءـ خـَوـفـاـ مـِنـ الصـَّمـانـ ، وـحـيـثـ إـنـهـ مـِمـاـ تـَقـدـمـ
يـَتـعـدـرـ الـْحـُكـمـ عـَلـىـ الـْمـُبـاشـرـ فـِيـ هـَذـهـ الـْمـسـأـلـةـ فـَقـادـ وـجـبـ
الـْحـُكـمـ بـِـصـمـانـ الشـُّهـودـ الـْمـتـسـبـبـيـنـ وـالـمـعـتـدـلـينـ دـُونـ الـْحـاكـمـ
الـْمـُبـاشـرـ . لـَقـادـ ذـَكـرـ عـَدـمـ اـخـتـالـ الـْحـُكـمـ فـِيـ هـَذـهـ الـْمـسـأـلـةـ
بـِـصـورـةـ مـُطـلـقـةـ فـِيـ هـَذـهـ الـْمـادـةـ (1729) أـيـهـ لـَمـ يـُقـيـدـ
عـَدـمـ اـخـتـالـ الـْحـُكـمـ بـِـمـاـ إـذـاـ قـَبـصـ الـْمـحـكـومـ لـَهـ بـِـهـ أـمـ لـَاـ مـَعـ
أـنـ هـَذـهـ الـْمـسـأـلـةـ مـَوـضـعـ لـَخـتـالـ الـْعـلـمـاءـ فـَالـبـَلـزـازـ يـَـةـ
وـخـرـازـةـ الـْمـفـتـيـنـ وـالـبـَحـرـ تـَقـوـلـ بـِـالـصـمـانـ سـَوـاءـ أـقـبـصـ
الـْمـحـكـومـ بـِـهـ أـمـ لـَمـ يـُقـبـصـ . أـمـاـ الـْكـذـبـ ، وـالـدـُرـرـ ، وـمـُلـتـقـيـ
الـْأـبـحـرـ ، وـالـهـدـاـيـةـ ، وـالـمـحـتـارـ ، وـالـإـصـلاحـ ، وـمـَوـاهـبـ
الـرـَّحـمـانـ ، فـَكـتـلـهـاـ يـَـشـتـرـطـ الـْقـبـضـ فـِيـ ذـلـكـ . وـلـكـنـ الدـُرـرـ
الـْمـذـنـتـقـيـ يـَرـىـ أـنـهـ إـذـاـ حـصـلـ قـَبـضـ أـوـ لـَمـ يـَـحـصـلـ فـَالـحـكـمـ
مـُوجـبـ لـِـلـصـمـانـ وـحـتـىـ لـَوـ شـَهـدـتـ الشـُّهـودـ فـِيـ عـَقـارـ ثـُمـ رـَجـعـتـ
فـَيـَـجـبـ صـمـانـ قـيمـةـ الـْعـقـارـ لـِـلـمـحـكـومـ عـَلـيـهـ . (الـْمـادـةـ 81) :
قـَدـ يـَـثـبـتـ الـْفـرـعـ مـَعـ عـَدـمـ ثـُبـوتـ الـْأـصـلـ . هـَذـهـ الـْقـاءـدـةـ
مـَأـخـوذـةـ مـِنـ الـْأـشـبـاهـ وـقـَدـ جـاءـتـ فـِيهـ (قـَدـ يـَـثـبـتـ الـْأـصـلـ وـإـنـ
لـَمـ يـَـتـذـبـبـتـ الـْفـرـعـ) . مـِثـالـ ذـلـكـ : لـَوـ قـَالـ رـَجـلـ : إـنـ لـِـفــلـانـ
عـَلـىـ فـَـلـانـ كـَذـاـ دـَيـنـاـ وـأـنـاـ كـَفـيلـ بـِـهـ أـيـهـ (بـِـدـونـ أـمـرـ الـْمـادـيـنـ)